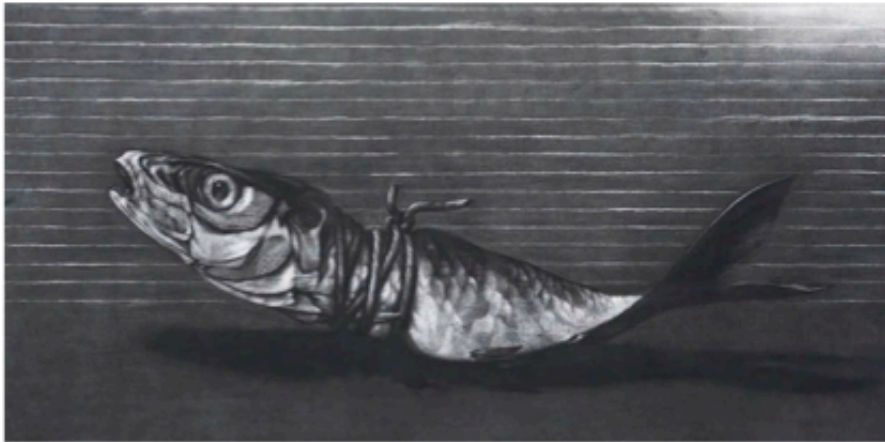


## يوسف عبدلكي... شاهداً على التراجيديا السورية



يوسف عبدلكي، سمكة، 2014، قلم على ورق على غلاف، 130 × 10 × 10، صمم بإن من صالة «تاليت»

تحولات عدة طرأت على لوحته مع دخول بلاده أتون النار وزيف الدم المستمتر منذ ثلاث سنوات. الفنان المعروف يشارك في «فن أبوظبي» عبر صالة «تاليت» التي تعرض له «السمكة» التي اختلق بحياها في إشارة إلى فداحة الهلاك السوري

حلتنا نتبع إصبعك على جرس باب محفلة في سوق ساروجة وسط دمشق، حتى تتأكدك عبارة صغيرة مكتوبة بخط «عدّة الزبارة نصف ساعة فقط». سطلون لفلسات هل تكفي نصف ساعة لفظ لا يتواءم من أعمال يوسف عبدلكي (1951)؟ كذلك في المقابل، سوف تحاول استنساخ هذا الوقت في الكشف جديد هذا التشكيك السوري للظفر. في زيارتنا الأخيرة له، استطاعنا لوحة جدارية لسكة مريضة بحيا عتية مشاهدتها أيضا في «فن أبوظبي» وتعدنا في صالة «تاليت». ليست هي المرة الأولى التي يرسم فيها عبدلكي أسماك، لكننا في هذه المرة سنحس بحجم الهلاك أكثر، ربما نأجيم الصنف الذي يعيشه البلاد هذه الأيام. هكذا، يزداد أريفيف الهولق فامة وثقلا، صلا وراء الآخر في جناز طويل. هذه الجمعية تتناسل من العتمة، حين خربات ثقلا، في معالجات غرافيقية صارمة تطوي على قدرة عالية في التلوان والكثافة الصرية المكتنزة بالإشارات، رغم الخلف الطاهري للموجودات على السطح. وراء هذه السكينة المراهقة، ولتوت لتجلل بالصمت والعتمة والسخط، تنكمن تراجيديا الأمل في يوم لتتحقق. كان يطعم الحمام، حين سأل إن كنا فهدنا الانتظار الذي دور الفن يتصل بكونه معات الأمل من لتتحقق، ثم قال: وهو يعد الثاني، «قد أصاب الزلزال أساس البناء، هذا تسونامي جارف، لن يتوقف». بعد ذلك، أورد على رغام الهزعة بعدا من أعماله الجديدة، بالأيض والأسود، كأنه يريد في تعزيز كونه الأصلية التي طلقا يتهددا «دور الفن يتصل في كونه شاهدا على الأمل، يرصد معاناة البشر، ويحمي منسوب الأمل في القويهم».

وأضاف: «يصعب أن يكون المثلث فاعلاً في الحدث، هذا وهم تاريخي، للأحداث الكبرى تصنعها قوى سياسية وأنظمة وطلقات ومهبطين. على الأرجح، فإن دور الفن يتصل بكونه شاهداً على الأمل، وربما يبرأ بواقع مختلف. التأثير سوف يكون معوقاً في التلام الأول، فعلى المدى البعيد سيصبح قطعاً ليتشكل وحدة من الأساطير التي تبني عليها كتابات الشعوب وحوادثها. نساء: كان أمماتك جعلنا لتتصور حول القتلان؟ يجيب: «جيدا من نور الدم الذي لاقى في سوريا، وجيدا من كل صابات التناخل والتأخر، لا استطع أن أستويب فكرة لتوت، حتى لو كانت شهادة لأجل أهداف إنسانية عليا، لا استطع أن أبل أن يخرج شاب من بيته ليعبر عن معاناة وفقدان لثمة عيشه وثقمة كرامته... ثم لا يعود أبداً إلى أهله. فكرة التوت بعد ذاتها هجيمة، لما بالك

الجديدة تطوي على تحوّل واضح في عناصر لوحته. ها هو يوثق وجوه الشهداء والأهوات والحبور. من دون أن يتصل عن أزهارة المتلصقة، أو مفردات الطبيعة اللينة. بعد تردد، سوف تكشف عبدلكي عن معالجة أخرى. بقول: «عدت سنوات، وأنا ألقط من دون أن يعطيني هودين محرف، نحن جيل درس اللغون من دون أن يعطيني هودين محرف، بعدما منعت كلية اللغون الجميلة في دمشق في سبعينات القرن المنصرم، وجود مثل هذا اللوديل. بعد بحث تمضت، واقتت إحداهن من تولي هذا المهمة، فأجرت نحو عشرة أعمال بقلم الفحم».

بين جدارية السمكة على الجدار، وهاربة يوسف عبدلكي، سوف تلتزم تلقائياً بين اختناق السمكة شفاً بالحيال الظلمة، وتفتح جسد التوي بشهوة الحياة، وقدرة هذا الغرافيك الصام على الجراح مساحة لتحياء وسط الحجم وعظام كاتانه ووجوه الشهداء. كوب شاي لغابي في البهو، سمح لنا بتجاوز الوقت لتحمّد للزبارة، وهو ما أتج لنا القيام بجولة أخرى في التحف، وتامل أحوال جدارية السمكة. سوف يتتابها إحساس مختلف هذه المرة، كأن الأمراس التي أحاطت بها، تشق على أعناقنا نحن. تغادر التحف خشية أن نلقاها ما تبلى من أوكسجين. ■

إذا كان ذلك بأدوات نظام حمجي؟ إن قلل ممرات الألاف من السورين في السنوات الثلاث الماضية هو أمر خارق، ولا يستطيع وجداني قولها تحت أي ذريعة. لا توجد ذراع لتلظ. نتبع لنفسنا مكان أم الشهيد وأبيه وأخيه وأخته وصديقه وجاره ونحاول بعدها أن نبلغ ونلذ. يصبح خلق كل منا من حجر وتراب، إنه أمر يتجاوز العقل».

تستعرض أعماله الجديدة بنهضة. أعمال مرسومة بقلم الفحم، جراً على عاتقه، لكنه في هذه المرحلة أضاف إلى مفرداته القديمة، نطحات من الأحمر إلى الأبيض والأسود، الأحمر الذي يستحوّل إلى بقعة داكنة، واستعان بوجوه الشهداء لتأريخ لحظة عضلية ترحي بقتال الأمل على الوجود كأنها حيا «طيريك» سورية، وهو ما قادنا إلى سؤال: لم تراودك فكرة إنجاز «طيريك» سورية؟ يجيب: «الطبع بالطبع. أظن أن فكرة باتورامية كهذه كالتفريكة، أو «الإعدام» لغويد أو «طواف ميدوز» لغريكو، غطرت لعشرات الرسامين في سوريا، لكن الأمر ليس قراراً، ليس رغبة، إنه يحتاج إلى الفهم. هذا يحتاج إلى الوقت. لا بد من مسافة لتستريح ما حدث، وبعدها، وتصير عنه بالصق المطلوب، لا أظن أن أحداً يريد الانتصاح والتناج أعمال لا تلبق بنهر دم تلي». مع ذلك، فإن يعنى أعماله

### بيروت الحرب والحرية

في بداية العام الحالي، أقامت صالة «تاليت» معرضاً ليوسف عبدلكي في بيروت. تمت صنوان 2011-2013، قدم الفنان أعمالاً طامعة من رسم التراجيديا السورية، دخلت إليها وجوه الشهداء والأهوات الكثر، وكشفت بلق الأحمر مساحة اللوحات. كان عبدلكي يحلم بعرض هذه الأعمال في دمشق أي في «بل المكان الذي عشت للبخاخ السوري القومي فيه» وفق ما قال: «لا أن الظروف الحالية في ماصمة الياسمين منعت ذلك، فاختار بيروت لأسباب عدة، أبرزها أنها شهدت حرافص الدم في العلود لتأخيه وربا ولأنها إحدى أهم ملامح المعاناة العربية حيث كلمة الحرية كانت دوماً مكتلة بالغار فيها» على حد قوله.

### الأعمال معروفة في جناح

صالة «تاليت»

### تابع: الليلة الأولى مؤشراتنا لا تخطئ: هذا الموسم سيكون مداراً

من الجوائز (2008)، والثاني «الشمس» (2014) اشتراها جامع تحف من المنطقة من دون الكشف عن السعر.

أما الصالة التركية «زيليومان»، فقد باعت صورة أحمد الهان «مسجو» قديم 88 مقابل 30 ألف دولار، بينما باعت صالة «أثر» السعودية عملاً لدانة حوتالي بعنوان «الشيخ» (من سلسلتها «ختم الزليمان») ولم يُكشف عن السعر. أما صالة «أكتوبر» التي لم تحلق بيعة هذه الليلة، فقد شوهد فنانها رشيد قريشي يتحدث مع الحضور، فيما سجّل اعتماد بارز بأعمال الفنان الجزائري في الصالة، إضافة إلى اعتماد بعمل آل أنصوري التجهيزي. أما في صالة «منازلت في ز»، فقد لفت الانتباه عمل الفنان الصيني يو فونغسو، بينما أعرب المسؤولون عن الصالة عن تفرؤتهم بالأيام المقبلة من المعرض.

وفي جناح «يسون» لمزدحم، كان الاعتماد كبيراً بتمثال أيش كابور المنصوع من المرمر، وإزاء الزهر الذي أنجزته الفنانة شيرازة هوشياربي... إلا أن الصالة لم تشهد أي عملية بيع. وفي صالة «كمال منور»، كانت لوحة لي أولان «اللوحه المدفونة» محط أنظار الزوار، لكن الصالة لم تشهد أيضاً أي بيع. من جهته، كشف صالة «كوتيتوي» عن حجز عميل، الأول للفنانة الفلسطينية المعروفة من حاطوم، والثاني هو عمل من لفرايا للفنان الإيطالي الشهير بيستوليتو. ■



جود الله على صالة «عدّة» 2014، مواد مختلفة على غلاف، 130000 × 10000 × 100، صمم كليل حياها

أيضاً، بيعت «معلقة حنزة» للفنان عبد الله مكر مقابل مبلغ زاحج بين 15000 و25000 دولار بينما حجز على عميل لجانة الساسي من سلسلته الجديدة (مواد مختلفة وكولاج). من جهته، باعت صالة «قنبل حيلبي خيلبي البليوبورتية ثلاثة أعمال: «ساعة الزفاف» (1965) شاركو كريكوريان اشتراها جامع تحف آروبي مقابل 20 ألف دولار، إضافة إلى عميل لسيلين بلادي، كانا من نصيب جامعي تحف من أبوظبي والندوحة. وكان سعر الأول 30 ألف دولار، والثاني 20 ألف دولار.

صالة «زيرابيل فان دن إينده» باعت عميل للفنانة الإيرانية نرجس هاشمي، وثلاثة لتطريحا رونكي مارتزاده (من سلسلته «تعاكس الفجر في وعاء لنام»). وذخبت كل هذه الأعمال لجامعي تحف إماراتيين. أيضاً، باعت صالة «الخط الثالث» (جوي) لوحة ساهد هيساميان «الودعة» مقابل 10 آلاف دولار اشتراها جامع تحف من الشرق الأوسط. ومن أبوظبي، باعت صالة «مسوى زيدان» عميل للفنانة الإماراتية فاطمة المرزوقي من سلسلتها «هوستالوج» مقابل 3 آلاف دولار لكل عمل. أما صالة «أبام»، فقد باعت عميل لجانة جرر يعودان إلى عام 2013 بعنوان «قرعة شجرة الزيتون» وشجرة الزيتون، إضافة إلى لوحة صنوان داخول «ختم 90» من دون الكشف عن السعر.

الصالة التونسية «المرسى» باعت عميل لجانة بن سليمان. الأول منحوتة